الفصل الثاني:
الشيعة والخوارج

المبحث الأول :الشيعة.
(دعوة لقوقعة الإسلام في أسرة واحدة)

نظرة عامة:

لا تختلف المصادر في أن أصل الشيعة: هم الذين شايعوا الإمام علياً وأهل بيته ووالوهم، وقالوا إن علياً هو الإمام بعد الرسول[1]، وإن الخلافة حق له، ومن هنا نجد أن أساس المذهب سياسي ولا يمكن أن يكون دينياً؛ فسبب الخلاف الرئيس هو تولي علي الخلافة متأخرًا عن أبي وعمر وعثمان وهو الأحق بها[2]، وقالوا إن الإمام علياً استحق الإمامة بوصية صريحة من الرسول، وهي لا تخرج عنه في حياته ، ولا عن أبنائه بعد وفاته، ولا تخرج إلا لاغتصابها أو التنازل عنها تقية.

والمذهب الشيعي لم يظهر إلا في أواخر عصر عثمان بن عفان، وهو من أقدم المذاهب الإسلامية وقد شقّ الصف الإسلامي، وظل لليوم منتصرًا وموجودًا ونجح في إقامة دولة خلافة اتخذت شمال أفريقيا مقراً لها[3]، وخاصة القاهرة طوال(567-297هـ - 1171-909م)[4] حتى أنهى صلاح الدين الأيوبي تلك الخلافة التي كانت تنافس دولة الخلافة في بغداد[5] والغالب – عندي – أن الشيعة مذهب سياسي اتخذ علياً وآل بيته تقية وستاراً خلف نشر المذهب ولنشره في العوام، متخذين

١-معتمدين في ذلك على حديث عن النبي(ص) يقول " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه ،وعاد من عاداه"

٢-عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله " أرحم أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي ، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان بحر من علم لا ينزف، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء – أو قال البطحاء- من ذي لهجة أصدق من أبي ذر "

اللافت في الحديث وغيره من أحاديث مروية كثيرة تتحدث عن فضائل الصحابة هذا الترتيب الذي لم يتغير أبدا، فيبدأ بأبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم علي بن أبي طالب، نقول هذا الترتيب لا يتغير أبدًا، ما يثني بأن تلك الأحاديث إما موضوعة وإما خضعت للتقديم والتأخير، فعلى أي أساس كان الرسول يرتبهم هكذا؟ وهل من المصادفة أن يتوافق هذا الترتيب – الدائم – مع ترتيب خلافهم؟(الأمر محل نظر)

٣-من القديم ومقر الشيعة إما اليمن أو بلاد فارس، والفرس الساسانيون يناسبهم نمط التشيع، فهو ليس عربياً عنهم ، وإن تحلى – فقط بصبغة دينية إسلامية – واستطاع الشاة إسماعيل الصفوي في القرن السادس عشر الميلادي أن يوّحد بلاد فارس تحت سطوته وتمذهب بالمذهب الشيعي ، ثم انتشر المذهب من إيران إلى العراق والبحرين وبقي في اليمن وانتقل لبعض الأجزاء الشرقية من السعودية ولبنان وسوريا ، وهو اليوم منتشر بشدة وأهله يعملون على نشره أكثر ما يعمل للسنة على نشر مذهبهم أو مراجعت له في صوره التكفير العقيم أن السنة فقط في الجنة والشيعة في النار ، وهي نفس الحجة الكاسلية بأن المسلمين فقط في الجنة وكل من عداهم في النار وإن كان يهودياً أو نصرانياً

٤ د أيمن فؤاد سيد الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧، والكتاب كبير الحجم يبحث في نشأة الدولة وتسلسل الأئمة ويؤرخ لقيام الدعوة ويركز على الدولة الفاطمية أكثر من الدعوة ،ويعتبر من أجل الكتابات عن الشيعة في العشر سنوات الأخيرة وإليك بعض العناوين في الكتاب صـ١٧٤ تحت عنوان ألوهية الحاكم وتحقيق فكرة الإله الملك ، صـ١٧٧ تحت عنوان الحاكم يفكر في نقل الحج إلى مصر وتحوير الجغرافيا وفي هذه الإشارة بيان عما كان يفكر فيه هؤلاء ، حتى أن العلامة محب الدين الخطيب ألف كتاباً في الشيعة أطلق عليه اسم الخطوط العريضة لدين الشيعة ، وقد نشره مجمع البحوث الإسلامية ٢٠١٢م، والكاتب يرى أن التشيع ليس مذهباً بل الأصح أن نقول عليه دين ، فله مقومات الدين ولا تجتمع الشيعة (الاثنا عشرية) مع أهل السنة لا في إله ولا في رسول ولا في كتاب ، وهم يحالفون السنة في تلك الثوابت، ويقولون من كان ربا لأبي بكر وعمر فليس لنا برب لنا

٥-أنشأ المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة في مصر واتخذها عاصمة له ، وسماها القاهرة لرغبته في قهرها للخلافة في بغداد والفعل تحالفوا- فيما بعد الشيعة الإيرانيون- مع هولاكو ملك التتار ضد الخلافة السنية في بغداد ، حتى أهلكوها ، وحديثاً تحالفوا مع الإمبريالية الصهيونية الأمريكية الغربية ضد العراق مرة أخرى 2003، شريطة تفادي الصدام مع الشيعة العراقيين ،وهكذا دواليك

التدين[1] تقية وستارًا لاستمالة الناس.

ومن الأدلة القاطعة على أن التشيع مذهب سياسي لا ديني المذهب الذي اعتنقوه وروجوا له فيما بعد وهو : " أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تُفوَّض إلى نظر الأمة، ويقوم القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً رضي الله عنه، هو الذي عيّنه الرسول"([2])

ولم تكن الشيعة فرقة واحدة، ولا لهم مذهب واحد(ما يؤكد أنه مذهب سياسي لا ديني) وقد تفرقوا إلى مذاهب متعددة ويرجع العلماء سبب التفرق إلى أحد أمرين:
الأول: اختلافهم في المبادئ والتعاليم، فمنهم من غالى في تقديس الأئمة، ومنهم من اعتدل في التشيع.
الثاني: الاختلاف في تعيين الأئمة، فالمتفق عليه أن علياً هو الإمام، ثم الحسن، ثم الحسين، ولما قُتل الحسين تفرقوا في تعيين الإمام التالي له، فمن قال انتقلت إلى أخيه محمد بن عليٍّ الشهير بمحمد الحنفية وهو ليس ابناً لفاطمة، ومنهم من رفض هذا وقصرها على أبناء فاطمة، وقالوا إن الحسن تنازل عنها لمعاوية فسقط حق أولاده فيها، وبقيت في أولاد الحسين الذي قُتل من أجلها.

أشهر الفرق الشيعية :

الزيدية، الإمامية (الإثنا عشرية - الإسماعيلية):

الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين، طمحت نفسه إلى استرداد الخلافة في عهد هشام بن عبد الملك، ولكن قُتل وصُلب ثم أُحرق جسده.
والزيدية قريبة من أهل السنة، وقوام مذهبهم في الآتي:
١- الإمام منصوص عليه بالوصف لا الاسم، والأوصاف هي: كونه فاطمياً، ورعاً، سخياً، يخرج داعياً الناس لنفسه.(وهل هذا من الأوصاف ؟!)
٢- أنه يجوز إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه بتوفر هذه الصفات فيه، ولهذا قالوا بصحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان. ولهم اتصالات بالمعتزلة أثرت في مذهبهم الفكري من ذلك أن: مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد في النار، وقيل إن واصل بن عطاء المعتزلي كان أستاذا لزيد.
الإمامية: ذهبوا إلى أن الرسول نصَّ على إمامة الإمام عليٍّ نصاً صريحاً لا تلميحاً، ويحصرون

١-ابن خلدون ،المقدمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، جـ١ صـ٢١٨.
٢-ابن خلدون ،المقدمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، جـ١ صـ٢١٨

الإمامة في ولد عليّ من فاطمة فقط، ويخرجون محمداً الحنفية منها.

والعلماء من أهل السنة على أن هؤلاء قد بالغوا في التشيع وغالوا فيه كثيرا، وكفَّروا الكثيرين من الصحابة، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعلي رضي الله عنه، وأئمتهم هم: عليّ بن أبي طالب، ثم انتقلت منه إلى الحسن بالوصية من أبيه، ثم إلى أخيه الحسين من بعده، ثم إلى ابنه عليّ زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم اختلفوا بعد ذلك في سوق الإمامة، وانقسموا إلى فرق عدة، أشهرها فرقتان:الإمامية الإثنا عشرية، والإمامة الإسماعيلية.

- الإمامة الإثنا عشرية:

يرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى ابنه محمد الجواد، ثم إلى ابنه علي المهدي، ثم إلى ابنه الحسن العسكري، ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويقولون إنه دخل سرداباً في مدينة سُر من رأى(سامراء)، وسيخرج في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً وأمناً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

وزعموا أن الإمام له صلة روحية بالله تعالى كالأنبياء، وزعموا أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميِّت على الكفر، والكثير من الاعتقادات الباطة التي سترد.

وأشهر تعاليمهم :

- **العصمة:** فالأئمة معصومون عن الكبائر والصغائر.
- **المهدية:** يقصدون به الإمام المهدي المنتظر.
- **الرجعة:** فبعد ظهور المهدي يرجع النبي، ويحاكم مغتصبي الحقوق من أهلها.([1])
- **التقية:** وتعني المداراة والمصانعة. (وهذه مبادئ عامة روتها جميع الكتب)

- الإمامة الإسماعيلية:

يرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت بالنص إلى ابنه إسماعيل، بالنص من أبيه على ذلك، وقالوا وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة في عقبه، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل

١-كان عبد الله بن سبأ يقول لبعض الناس: عجبت ممن يزعم برجعة المسيح بن مريم ولا يزعم برجعة النبي مع أن الله يقول "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"(القصص ٨٥) فمحمد أولى بالرجوع من عيسى بنصوص القرآن عند أمثاله

إلى ابنه محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين، وبعده تتابع الأئمة المستورون إلى أن ظهر عبد الله المهدي رأس الفاطميين.([1])

واتخذت الإمامة الإسماعيلية بعض الألقاب بعضها كان اسماً لبعض فرقهم، وهي: الإسماعيلية، الباطنية، القرامطة، الحرمية، السبعية، البابكية الخرمية، المحمرة.

يقول الإمام أبو المظفر الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين: " واعلم أن الزيدية والإمامية منهم، يُكفِّر بعضهم بعضاً، والعداوة بينهم قائمة دائماً، والكيسانية يعدون في الإمامية، واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة، ويدعون أن القرآن قد غُيِّر عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قِبَل الصحابة، ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة علي فأسقطه الصحابة منه، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم([2])، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إمام يسمونه"المهدي" يخرج ويعلمهم الشريعة، وليسوا على شيء من الدين وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغيير القرآن من عند الصحابة ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين".([3])

وأثبت رأي أحد كبار المستشرقين في هذا الأمر حيث يقول:" وإذا تكلمنا عن الشيعة في الإسلام، فقد عرفوا أيضاً المأثور والسنة، ويعترف الشيعة بالخليفة الرابع فقط (علي بن أبي طالب) من الخلفاء الراشدين الأربعة، أي عليٌّ ابن عم النبي، وتنحدر الإمامة من زوجته فاطمة بنت محمد، فيمثلون بالنسبة للشيعة باتجاهاتها المختلفة القادة الشرعيين للأمة والدولة، وفيما يتعلق بعقيدة الجهاد، فلهم رأى آخر مخالف عن أهل السنة إلى حد بعيد حيث يجعلونه حلالاً ضد أعداء الإسلام الداخليين أيضاً، وفي المقام الأول أهل السنة، أما بالنسبة لليهود والنصاري فإنهم يأخذون تجاههم موقفاً متشابهاً مع موقف أهل السنة. حتى الأقلية مثل هؤلاء كانوا، كما يخبرنا التاريخ، مستعدين لأسباب عملية لكسب مزيد من الامتيازات، مثلما يذكر أن الفاطميين نادوا بالحروب ضد الصليبيين

١- بالطبع قولهم الإمام المستور يقصدون به المستور عن أعين الحكام لئلا يأخذونه ويقتلونه، فقد كان الخلفاء سواء الأمويون أو العباسيون يطاردون هؤلاء الأئمة ويقتلونهم كما مرّ بنا كثيرا عبر التاريخ، وخروج الأئمة دائما يكون لنيل السلطة والخلافة وليس لنشر الدين الصحيح أو لتثقيف الأمة أو تقدمها، أو أي شيء آخر، فالمذهب الشيعي كله حصر نفسه في الوصول إلى السلطة، وإن كان ذلك على حساب الدين والشرع والشريعة، وخلاصة الرأي فيهم أنهم أرادوا الدنيا على حساب الدين والآخرة، وسنجد في تأويلاتهم للقرآن الكريم ما يُثبت ذلك

٢- هذا القول – بفرض صحته – يؤكد أن المذهب الشيعي وُضع برمته لهدم الإسلام، ولما كان من المستحيل هدم الإسلام من الخوارج لجأوا إلى هدمه من الداخل، وخاطبوا عواطف بعض المسلمين ، واتخذوا المذهب كله للوصول إلى البلطان الذي من خلاله سيصل إلى المعتم الكثيرة، فبنوا مذهبهم على الطمع في الدنيا والسلطة والدين المزائف الراجع إلى تقديس الوراثة كما أشبتها القرآن في النبوة فلابد أن يكون موجوداً في الإمامة وهي أقل درجة من النبوة ، فهي بالتالي أولى

٣-الذهبي التفسير والمفسرون ، جـ٢، صـ ١٠، نقلاً عن أبي المظفر الإسفرايني التبصير في الدين صـ٢٤-٢٥

عندما انتقلت القدس من ملك الفاطميين إلى الصليبيين."[1]

وأود أن أتحدث شيئاً قليلاً عن فرقة الباطنية، وهي أهم فرق الشيعة وبعض أفكارها وطريقة نشر مذهبها كالآتي:

لُقبوا بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وقالوا إن للقرآن ظاهراً وباطناً ولا يعرف الباطن إلا الأئمة المعصومين وتمثلو بقوله تعالى: " فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ" (الحديد :١٣) وكان غرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين.

يقول الإمام محمد الغزالي عن باعثهم في إنشاء تلك الفرقة: "مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة؛ فإن مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين، ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، ويُنفِّس عنهم كربة ما دهاهم من استفحال أمر المسلمين، حتى أخرصوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله تعالى في آخر الأمر. وزعموا أنّا بعد أن عرفنا أن الأنبياء كلهم ممخرقون ومنمسون(كذابون) فإنهم يستعبدون الخلق بما يخيلونه إليهم من فنون الشعبذة والزرق."[2]

ولا يختلف أحد من الأئمة على أن مقصود هؤلاء الشيعة كله: الملك والاستيلاء على أموال المسلمين والتبسط في حريمهم، والانتقام منهم فيما اعتقدوه فيهم وعاجلوهم به من سفك الدماء ونهب الأموال.

ويتحدث الغزالي عن درجات حيلهم في استدراج الناس إلى مذهبهم في تسع درجات هي: -

الزَّرق: (حدة النظر في الشخص إن كان صالحاً لدعوته أو لا) فهم يقولون: يجب أن نتقي بثّ البذر في السبخ والدخول إلى بيت فيه سراج.

- أن يكون الداعي مشتعل الحدس، ذكي الخاطر.

١-هريرت بوسة - أسس الحوار في القرآن ، م س، صـ١١٦

٢-الإمام محمد أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩، صـ ٤١-٤٢ وواضح أن سبب نشوء المذهب هو القدح في الدين نفسه، وكما قال العلامة الخطيب للشيعة دين لا مذهب، وهو دين إلحادي يناصب الإسلام العداء بشدة، وسبب نشأة هذا الدين الجديد هو الكيد للإسلام ، لذا يقول البعض عن الشيعة هم العدو فاحذرهم

- **التفرس:** ألا يدعو كل أحد إلى مسلك واحد، بل يبحث أولاً في معتقده وما إليه ميله في طبعه ومذهبه.

- **التأنيس:** أن يظهر للناس خلاف ما يبطن حتى يرتاحوا له ويثقوا فيه.

- **التشكيك:** يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه. ويسأله عن الحكمة في مقررات الشرائع، ويقول: ما للحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ وما بال الاغتسال يجب من المني وهو طاهر ولا يجب من البول النجس؟ ثم يشككه في آيات القرآن ونظمها، وغير ذلك.

- **التعليق:** بأن يطوي عنه جوانب تلك الأمور التي شككه فيها ولا يشرحها له.

- **الربط:** وهو أن يربط لسانه بأيمان مغلظة وعهود مؤكدة لا يجسر على مخالفتها بحال.(١)

- **التدليس:** فهو بعد أن يؤدي اليمين ويتأكد العهد منه لا يسمح ببثّ الأسرار إليه دفعة ولكن يتدرج.

- **الخلع:** وهي أن يصلوا بالمستجيب إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه .(وهي خاصة بالعمل)

- **السلخ:** فيختص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين، فإذا انتزعوا ذلك من قلبه سلخاً، وسميِّت هذه الرتبة البلاغ الأكبر.(٢)

يذكر الغزالي أن الذين يتبعون هؤلاء أحد ثماني أصناف من الناس وهم :

- طائفة ضعفت عقولهم وبصائرهم وسخُفت في أمور الدين آراؤهم؛ لما جبلوا عليه من البله والبلادة.

- طائفة انقطعت الدولة عن أسلافهم بدولة الإسلام كأبناء الأكاسرة والدهاقين، وأولاد المجوس المستطيلين.

- طائفة لهم همم طامحة إلى العلا متطلعة إلى التسلط والاستيلاء، ولا يساعدهم الزمان.

- طائفة جُبلوا على حب التميز عن العامة والتخصص عنهم ترفعاً عن مشابهتهم، وتشرفاً بالتحيز إلى فئة خاصة تزعم أنها مطلعة على الحقائق.

- طائفة سلكوا طرق النظر ولم يستكملوا فيه رتبة الاستقلال.

- طائفة اتفق نشوؤهم بين الشيعة والروافض، واعتقدوا التدين بسبِّ الصحابة.

- طائفة من ملحدة الفلاسفة والثنوية والمتحيرة في الدين اعتقدوا أن الشرائع نواميس مؤلفة ..الخ.

١-من يقرأ في الماسونية يجد أن الشيء نفسه يتكرر ، وكأنهما ينبعان من ذات الشر المعين، فالماسونية لها مثل تلك الحظرات ولديهم قسم مغلظ وشديد ومن يحالفه يتم قتله «انظر فريدريش فيجنل الماسونية العالمية ، ترجمة عثمان محمد عثمان ، المركز القومي للترجمة ٢٠١٠، صـ ٣٢ وما بعدها ولعله يصدق في كل هؤلاء قول العامة الكفر ملة واحدة

٢-الإمام الغزالي فضائح الباطنية، صـ ٥٠- ٥٨ ملخصاً

- طائفة استولت عليهم الشهوات فاستدرجتهم متابعة اللذات، واشتد عليهم وعيد الشرع وثقلت عليهم تكاليفه.

أما مذهبهم فملخصه كالآتي:

يقولون بوجود إلهين: السابق، والتالي، وقد يؤولون القرآن من هذا المنطلق فيقولون إن اسم التالي قدر ويقولون إن الله تعالى يقول: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "(القمر:٤٩) ويزعمون أن السابق لا يخلق بنفسه بل بالتالي، والذي هو قدر.

والنبوة عندهم عبارة عن شخص: فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتفش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات.

والقرآن عندهم هو تعبير من محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو المراد باسم جبريل، ويسمى كلام الله تعالى مجازا، فإنه مركب من جهته وإنما الفائض عليه من الله تعالى بواسطة جبريل بسيط لا تركيب فيه، وهو باطن لا ظهور له. وكلام النبي وعبارته عنه ظاهر لا بطون له.

واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي، وإنما يتلقى ذلك من النبي.
واتفقوا على إنكار القيامة والمعاد، وزعموا أن المشاهد في الدنيا تعاقب الليل والنهار. (١)

وهم لا يعتقدون في التكاليف الشرعية بل نُقل عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحساب واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع وغير ذلك من الموبقات.(٢)

موقف الشيعة من تفسير القرآن:

مما هو مشهور أن هناك غلاة للشيعة يرفضون ما هو موجود من قرآن وينصون على أن علياً كان له قرآن خاص به ويسمونه مصحف فاطمة، ويدعون أن جبريل كان يأتيها يواسيها عقب وفاة

١- قد كان الناس في جهل عن أمور فلكية كثيرة ، فكانوا يظنون – مثلاً- أن الشمس ستستمر أبدا وبلا نهاية ، غير أن العلم الحديث أثبت أنها تفاعلات نووية ضخمة وأنها ستتوقف يوما ما – وإن كان بعيدا جدا، ولكن الدلائل العلمية الحديثة تشير إلى صدق حدوث القيامة بتوقفاء الشمس ونهاية الحياة وهذا ما يؤكده العرب الملحد في درسته وعلومه فيهديهم للعلم إلى الإيمان مصداقا لقوله تعالى:" ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماءُ إنَّ اللهَ عزيزٌ غفورٌ"(فاطر ٢٨) انظر في هذا الكتاب الشيق للفيلسوف ولم سميس النبي والعلم الحديث ترجمة د إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير د ت

٢- الغزالي: فضائح الباطنية ، صـ ٧٠-٧٣، وهو كتاب ممتع وشامل وكاف في استعراض كل أعراضهم وحيلهم وطرقهم ومآربهم فليراجع

والدها ويخبرها بمكانة أبيها، وكتب علي كل هذا، وهذا هو مصحف فاطمة، (ومنهم من يقول إن القرآن المنزل ١٧٠٠٠ آية أخفى بنو أمية البقية) ولكنهم حين يفسرون القرآن السني فإنهم يؤولونه تأويلات مختلفة وغريبة - ونحترز بالقول – ليس كل الشيعة يقولون بتلك التأويلات.

والحقيقة التي لا مراء فيها بشأن الشيعة والخوارج والمعتزلة أنشأوا المذاهب أولاً، ثم راحوا يستندون لترويج مذاهبهم إلى القرآن والسنة، فما وجدوه معارضًا لتلك المذاهب قاموا بتأويله تأويلاً فاسداً، على نحو ما سنذكر.

يؤكد الأستاذ رجب البنا في كتابه الشيعة والسنة أنه لا توجد فروق كبيرة بين معتدلي الشيعة وأهل السنة والجماعة، سوى في مسألتين فقط هما:

الخلاف الأول: قول الشيعة إن الإمامة ركن من أركان الإسلام وضرورة ملازمة له، وإن الإمامة في كل العصور وإلى نهاية العالم لابد أن تكون في أبناء الإمام عليٍّ بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء، وإن منزلة الإمامة كمنزلة الأنبياء، فهذه النظرية تتعارض مع عقيدة أهل السنة الذين يرون أن حكم المسلمين ليس فرضاً مفروضاً في سلالة بعينها.

الخلاف الثاني: هو زواج المتعة، وإن كان لدى الشيعة أسانيد يرددونها تفيد بأن الرسول صلى الله علي وسلم أباحه ولم يمنعه، فإن لدى أهل السنة أسانيد تؤكد تحريم هذا الزواج، وتجعل شرط صحة الزواج أن يكون بنية التأبيد."(١)

والحقيقة فإن المبدأ الأول وحده كافٍ لهدم المذهب الشيعي إن أراد أهله أن ينسبوه للإسلام. ولهذا يؤكد المؤلف تلك الحقيقة الساطعة: " ومن قراءة التاريخ نكتشف أن الشيعة في الأساس لم تنشأ مذهباً دينياً له فقه مستقل، ولكن النشأة كانت لأسباب سياسية، والخلاف كان حول من الأحق بالخلافة عقب وفاة الرسول .(٢)

وفي وصفه للأحداث السياسية يؤكد الدكتور طه حسين في كتابة الفتنة الكبرى أن الشيعة أصبحت " فرقة لها نظرية في السياسة ذات صبغة دينية، والتبست السياسة بالدين وبالفقه، وظهرت داخل

١-رجب البنا الشيعة والسنة والاختلاف في الفقه والفكر والتاريخ، دار المعارف، ٢٠٠٥،صـ٥-٦ ويحاول المؤلف في كتابه أن يُظهر مواطن التقارب بين الشيعة والسنة، ويؤكد أن هناك الكثير من العُود مردود من قِبَل الشيعة وينسب إليهم زورا وبهتانًا، والحقيقة التي لا مراء فيها أن المؤلف يتحدث من باب أن ما كان عند علمائهم قد انتشر ولا يجب النقاش فيه، وعلينا أن نتحدث عن الموجود اليوم وناقشه ونبحث مبدأ التقريب وهو محمود مثمر للمؤلف القدير ، وحُسن نية، ولكنه ننسى أن في عالمنا العربي المضيق والإسلامي الأكثر ضيقًا فإن التاريخ يعيد نفسه ويتحدرك في دائرة لا يخرج منها، ومن هنا وجب التنبيه على أننا سنعيد بعد قرن أو قرنين ذات الكلام مرة أخرى

2-المصدر السابق، صـ7 وهذا يؤكد صدق ما نحو إليه إلى أنهم أرادوا هدم الدين فلجأوا إلى تلك الحيلة وهي تولية أهل البيت الكرام ، وغالوا في التقديس والتكريم وطبقوا عبادة الأئمة كما النصارى من قبل، ولا جديد سوى التحزب والتوقع والتفرغ لحل مشاكل الأمة داخليا، ويتحصر دورها العالمي ، وهذا هو معتقد الشيعة حتى مع وصولهم لحكم في طهران اليوم مازالوا حاقدين على الدين الإسلامي وأهله ولم يحاولوا التقرب من لغة القرآن قيد أنملة

الشيعة فرق مختلفة، حسب ما أوردنا."(١)

ولن يدهشنا كثيرا ما اكتشف الدكتور علي سامي النشار في كتابه "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام " والذي تحدث في جزئه الثاني عن نشأة الشيعة، وتطرق للحديث عن المعتدلين باستفاضة ووضح نقاط الالتقاء مع أهل السنة، وقد أعلن بعد دراسة التاريخ السري أو الباطني للغلاة الشيعة أن (الكبالا) اليهودية كان لها التأثير الكبير في عقائد الشيعة الباطنية الغلاة، وتوصل أيضاً إلى حقائق مؤيّدة بالدليل والوثائق والمراجع وهي :

أولاً: أن الأفكار التي يعتنقها الشيعة الاثنا عشرية في مجموعها إسلامية بحتة لا تتعارض مع أفكار أهل السنة.

ثانياً: أن هناك طوائف شيعية متأثرة بأفكار ومعتقدات دخيلة على الفكر الإسلامي، وأخطر هذه العناصر الأجنبية هي الكبالا أو القبالا اليهودية التي نشأت وعاشت في الشام والعراق وكانت لها موطن في اليمن حيث كانت اليهودية مترسخة.

ثالثاً: أن الاختلافات بين مذاهب وفرق الشيعة اختلافات كبيرة وجوهرية. وإن كان الإطار العام للتشيع واحداً، إلا أن التشيع يختلف بعد ذلك بين فرقة وأخرى.

رابعاً: أن أهل السنة والجماعة استندوا على النقل والعقل، أما الشيعة فإنهم اعتمدوا في نشأتهم الأولى على النقل فقط، والنقل عن طريق واحد، وهي مجموعة خاصة من أئمة أهل البيت.

خامساً: أن الشيعة أقاموا مذهبهم على شخص واحد فقط، هو الإمام علي بن أبي طالب، وزوجه السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول، ونسلهما وأحاطوهم بقداسة كبرى. وذهبوا إلى أن الجماعة قد تخطئ وقد تصيب، أما الإنسان الفرد لا يمكن أن يخطئ (الإمام عندهم فقط) وأضافوا إلى هذا الإنسان العصمة واعتبروه معصوماً من الخطأ."(٢)

من المعروف أن المصدر الثاني لدى أهل السنة هو الصحاح الستة ، وهي:-

صحيح البخاري: ١٩٤-٢٥٦هـ

١ـ د طه حسين الفتة الكبرى، دار المعارف، ط٨، صـ٥٥ ويصف عباس محمود العقاد أسباب ظهور الشيعة في تحليله لشخصية الإمام عليّ في عبقرية الإمام قائلاً " إن في سيرة عليّ بن أبي طالب ملتقى الرافع بالحيال، فهو الشجاع الذي نزعت به الشاعرية الإنسانية منزع الحقيقة ومنزع التخيّل، ألم يحارب المردة في طواتها؟ ألم يخلق له الرواة أندادا من المبارزين لم يخلقهم الله؟ ألم يستصغر عليه المحيون المعالون في الحب أن يصرع خصومه فأنشئوا له الخصوم المغلوبين من لم يعرفهم ولم يعرفوه؟ ألم يوشك من وصفوه ووصفوا وقعاته أن يحذوه بأبطال الأساطير؟ وللتقي في سيرته بالفكر كما للتقي بالحيال والعاطفة لأنه صاحب آراء في التصوف والشريعة والأخلاق سبقت جميع الآراء في الثقافة الإسلامية، للذوق الأدبي الخ" عبقرية الإمام الهيئة المصرية العامة لكتاب، ٢٠٠٤ صـ١٥ وأقول لأساتذنا الكبير إن الشيعة هم من نسجوا كل هذه الأساطير ليدلسوا على الناس ويبرهنوا على استحقاقه الخلافة عقب وفاة الرسول مباشرة وقد سبق الصحابة إلى علوم وشجاعة لم تكن عند أحد منهم وفي كتاب صدر عام ٢٠٠٦ بعنوان فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب، لسمير مرقص عن هيئة خدام المهتدي، يقول فيه مؤلفه "إن أبا بكر وعمر بن الخطاب، بواسطة عائشة وحفصة قد سقيا رسول الله(ص) سماً، في حجرة عائشة ، ونسياه لذا ، تمويهاً للأمر ، فمات الرسول بسببه صـ١٠٩، وهناك الكثير من الأوصاف للصحابة في هذا الكتاب التي لا يمكن أن تصدر من مسلم يحق الجبل المؤسس للإسلام مهما اختلفنا معهم وهم يرقعون قتل عمر بن الخطاب أبو لؤلؤة المجوسي، ويزورون قبره في كاشان ويزعمون أن علياً بن أبي طالب سمعجزة أخذه وحمل الريح يسافر به إلى إيران حيث عاش ومات هناك، وهم يحجون إلى قبره ، وهذا كله لا يستقيم مع العقل أو النقل ليطالع الكتاب من شاء ليرداد يقيناً على يقين بأن الشيعة ليست كما نتوهم

٢ـ د علي ص علي سامي النشار نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، دار المعارف، ١٩٩٥م، جـ٢، صـ١١٥ ويتحدث عن وضع الشيعة للأحاديث ونقرأ هذا الحديث العجيب " قالوا إن رسول الله قال عن يده الوجود " كنت أنا وعلي بن أبي طالب قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم، انتقل النور في الأصلاب الطاهرة والأرحام النكية حتى صار في عبد المطلب ، فانقسم النور قسمين قسم في عبد الله ، قسم في أبي طالب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية" وهذا إذا عرضناه على العقل الحديث المجرد من المذهب الديني أو الذين المذهبي لرفضه وحكم أحب هذا النقل بالعته

لفرد لا يمكن أن يخطئ (الإمام عندهم فقط) وأضافوا إلى هذا الإنسان العصمة واعتبروه معصوماً من الخطأ."([1])صحيح مسلم: ٢٠١- ٢٦١هـ

سنن أبي داود: ٢٠٢-٢٧٥هـ

سنن الترمذي: ٢٠٩-٢٧٩هـ

سنن ابن ماجة: ٢٠٩-٢٧٣هـ

سنن النسائي: ٢١٥-٣٠٣هـ

والشيعة الاثنا عشرية لا تعتقد في صحة تلك الصحاح التي يعتمدها أهل السنة، ويقول في ذلك دكتور أحمد راسم النفيس في كتابه بيت العنبكوت:" إن كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة – وخاصة صحيح البخاري- وصحيح مسلم – إنما مثلت "دين بني أمية، وليس دين الإسلام – وعبَّرت عن الرواية الأموية للدين الإسلامي – التي مثلت الانقلاب على الإسلام، ولم تمثل حقيقة الإسلام، لقد انحاز البخاري لبني أمية، ولم يرو شيئاً عن معركة كربلاء، ولا روى عن الحسن والحسين."([2]) وقد وقف الدكتور محمد عمارة في كتابه السالف الذكر، مفندا لهذه الآراء،وكفانا مئونة الرد هنا.

الموقف الشيعي من الصحابة:

عندما انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى ١١هـ كان عدد الذين دخلوا في الإسلام ١٢٤٠٠٠ وكان تعداد شبه الجزيرة العربية يومئذٍ لا يتعدى المليون، وهذه رواية مشهورة وحكاها أغلب الكتاب، وألاحظ أن عدد المسلمين وإن كان قليل إلا أنهم كانوا قد شكلوا دولة وأزاحوا أهم الأعداء، ولهم خليفة وحكومة وغاية ووسائل ولذا استطاعوا نشر الإسلام في بقية ربوع الجزيرة العربية.

وعندما تم إحصاء الصحابة في كتب التراجم أحصوا نحوا من ٨٠٠٠ صحابي، بعضهم كان قريباً من الرسول(ص) وبعضهم سمع منه ولازمه وروى عنه، وبعضهم من أقاربه وأهله. ([3])

١ـ د علي سامي النشار نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، دار المعارف، ١٩٩٥م، جـ٢، صـ١١٥ ويتحدث عن وضع الشيعة للأحاديث ونقرأ هذا الحديث العربـ" قالوا إن رسول الله قال عن بدء الوجود:" كنت أنا وعلي بن أبي طالب قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم، انتقل النور في الأصلاب الطاهرة والأرحام الذكية حتى صار في عبد المطلب ، فانقسم النور قسمين قسم في عبد الله ، قسم في أبي طالب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية" وهذا إذا عرضناه على العقل الحديث المجرد من المذهب الديني أو الدين المذهبي لرفضه وحكم على صاحب هذا النقل بالعته

٢ـ د أحمد راسم النفيس، بيت العنكوت، طبعة القاهرة، ٢٠١٠م، صـ ١٨٦-١٨٧وما بعدها، ويثن جملة متواصلة ضد تلك الكتب ، وينهمها بتهم مبالغ فيها فوظيفة الكتاب كلها هي الحط من تلك الكتب والتشنيع بها، وهذه طريقة شيعية مألوفة في التشكيك في التفاسير السنية وكتب السنة السنية كذلك ، لتأكيد على تهاوي المصادر السنية للإسلام بوصف الشيعة وحدهم يملكون الحقيقة المطلقة ومن عداهم مزورون وقد ردّ الدكتور عمارة على كافة الحجج التي ساقها الدكتور أحمد راسم النفيس وأظهر تهافتها وتداعيها بالدليل العقلي والنقلي ، وأبان الحجة على مدعيها في كتابه" صحاح البخاري ومسلم،هل هي بيت العنكوت، مجمع البحوث الإسلامية ،١٤٣١هـ

٣ـ هناك خلاف كبير اليوم حول تعريف جامع مانع للصحابي، وهناك من يقول إن من رأى النبي وآمن به وتابع دينه ولو مرة واحدة في الحياة فهو من الصحابة، فلا يشترط بعض العلماء طول الصحبة أو شدة النصرة، ولكنهم يتفاوتون من حيث الفقه عن الرسول والخدمة لدين بالمال كعثمان وبالقوة كعمر وبالسيف كعلي بن أبي طالب فيما ترويه كتب السيرة والتراجم مثل أسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر وهذه هي أهم كتب التراجم يراجعها سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي

وأرى أن هذا هو الجيل الأول للإسلام وهم المؤسسون البشريون (أي لم يخالطوا وحياً) للدين الإسلامي، ولو ذهبوا جميعا دون خلافات مذهبية وأطماع في السلطة لاستقام الإسلام على مدار التاريخ دون حروب إسلامية إسلامية، ووقف المسلمون يحاربون بعضهم البعض مستعينين بالفرنجة والأحباش في تلك، على نحو ما سنبين في كتابنا(الحروب الإبراهيمية)

يرى الدكتور عمارة أن الشيعة الاثنا عشرية قد استبعدوا :

١- القرآن الكريم – بزعم أن المخاطَب به هم الأئمة فقط- وليست الأمة والعالمين – وأن الأئمة وحدهم هم الذين يفقهونه.

٢- العقل – بزعم أنه لا دخل له في الدين!.

٣- الإجماع – بزعم أنه كان الطريق لولاية أبي بكر الصديق. وبعد استبعاد هذه الأدلة الثلاثة، وضع الإخباريون أصول المذهب الشيعي.([1])

أمثلة على تأويلات الشيعة: يزعم المغيرة بن سعيد العجلي زعيم المغيرية أن الله تعالى خلق أظلال الناس قبل أجسادهم، فكان أول ما خلق منها ظل محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: فذلك قوله في الآية (٨١) من سورة الزخرف : " قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ " قال: ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يمنعن عليّ بن أبي طالب من ظالميه فأبين ذلك، فعرض ذلك على الناس، فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة علي ومنعه من أعدائه، وأن يغدر به في الدنيا، وضمن له أن يعينه على الغدر به، على شريطة أن يجعل له الخلافة من بعده، ففعل أبو بكر ذلك، قال: فذلك تأويل قوله تعالى في الآية (٧٢) من سورة الأحزاب: " إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا" فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر.

وتأوّل في عمر قوله تعالى في الآية (١٦) من سورة الحشر: " كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ".. والشيطان عنده هو عمر. ([2])

يذكر الإمام الذهبي أن جمع الإمامية الإثنا عشرية للقرآن قائم على أوهام وضلالات متنوعة منها: " جمع القرآن وتأويله، وهو كتاب جمع فيه علي رضي الله عنه القرآن على ترتيب النزول. وكتاب أملى فيه أمير المؤمنين ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالاً يخصه. ويعتقدون أنه الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن" وغير ذلك مما يتقبح ذكره.([3])

ترى هذه الطائفة أن الله تعالى فوّض دينه إلى نبيه ونبيه فوّضه إلى علي وأولاده، ويقول الذهبي: " وحيث إن الله تعالى خلق النبي وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد عقل، فلا يختار النبي

١-د محمد عمارة صحاح الستة، هل هي بيت العنكبوت ، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣١، صـ٦٧

٢-الذهبي: التفسير والمفسرون ، جـ٢، صـ١٣

٣-يقولون في تأويلهم لقوله تعالى:" إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة" البقرة ٦٧، والبقرة عندهم هي عائشة ،وقوله تعالى " فقتا اضربوه في بعضها "(البقرة ٧٣) إنه طلحة والزبير وقولهم في الحجر والميسر إنهما أبو بكر وعمر ،والحيت والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص الإمام الذهبي: التفسير والمفسرون، جـ٢، صـ١٩

ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب، ولا يخطر بقلب النبي ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يناقض مصلحة الأمة، فيفوِّض الله تعيين بعض الأمور إلى رأي النبي ورأي الإمام مثل الزيادة في عدد ركعات الفرض ومثل تعيين النوافل في الصلاة والصيام، وذلك إظهارًا لكرامة النبي وكرامة الإمام، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام، وله في الشرع شواهد: حرَّم الله الخمر، وحرَّم النبي كل مسكر فأجازه الله. وفرض الله الفرائض ولم يذكر الجد، فجعل النبي للجد السدس، وكان النبي يبشر ويعطي الجنة على الله ويجيزه الله."([1])

تقول أغلب فرق الشيعة إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وبعضهم ذكر أن للقرآن سبعة وسبعين باطناً، وقالوا إن ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما.

والحديث عن التفسير الباطني عند الشيعة أمر لا يستسيغه كل أحد، لذا سأعرض صفحاً عن ذكر الكثير منه، وإن اقتضاه البحث؛ وذلك لكون مطالعي هذا السفر لا يكونون كلهم – بالضرورة – من المتخصصين فقد أعكر بهذه الأمثلة صفو تفكيرهم، ففي تفسير الشيعة ما لا علاقة له بالإسلام من قريب أو من بعيد.

وإذا تعارضت بعض أقوال الشيعة مع بعضها فإنهم يقولون للتخلص من هذه الورطة بثلاثة أشياء وهي:

أولاً: أن الإمام مفوَّض من قِبَلِ الله في تفسير القرآن.(وتلك وحدها تخرج من الملة، ولا تجوز عقلاً)
ثانياً: أنه مفوَّض في سياسة الأمور.
ثالثاً: التقية."([2])

والذي أراه من هذا أنهم بذلك حققوا قوله تعالى في القرآن الكريم:" اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ "(التوبة:٣١) حيث إن إعطاء الأئمة تلك الولاية على الناس في الدين لا يكون إلا من قبيل التعبد لهم، فما أحله الإمام فهو حلال وما حرّمه فهو، وذلك يشبه قول المسيح في الأناجيل: " ما تحلونه في الأرض يكون في السموات كذلك." ومفهوم ذلك أن الإمام يعد بالجنة من شاء ويحرم منها من شاء، والولاية لا تكون فقط على المسلم بل على الله تعالى.

١-المصدر السابق، ، صـ٢٢
٢- المصدر السابق، صـ٣٠ وانظر كتاب الدكتور مصطفى الشكعة إسلام بلا مذاهب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، حيث أرخ لظهورهم وعدد فرقهم وأقوالهم وعلاتهم والمعتدلين فيهم

وهم يرفضون الأحاديث التي تتعارض مع أفكارهم بحجة أن رواتها هم الصحابة المقدوح في دينهم والمرفوض لكل ما يروونه ، أو أن تلك الأحاديث تتحدث عن الصحابة، وهم لا يأخذون إلا ممن كان شيعياً، ولا يقبلون تفسيراً إلا ممن كان شيعياً، ولا يثقون بشيء مطلقاً إلا إذا وصل إليهم من طريق شيعي.(١)

وبالقطع هم أساتذة في وضع الأحاديث على النبي وربما نجد هذه الأحاديث مدسوسة في بطون الكتب. ومن تلك الأحاديث قولهم: ما يروونه عن الجعفر الصادق رحمه الله، أنه قال: " ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته. فإن علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبوناً، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة" وبالقطع الحديث السابق لا يحتاج إلى مجرد التعليق.

يتحدث الإمام الذهبي عن الشيعة الإمامية الإسماعيلية "الباطنية " فيقول:" والحق أن هذه الطائفة لا يمكن أن تكون داخلة في عداد طوائف المسلمين، وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تُقهر، وأبصروا عزة المسلمين فتية لا تُغلب ولا تُكسر، فاشتعلت بين جوانحهم نار الحقد على الإسلام والمسلمين، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى الغلب على المسلمين بقوة الحديد والنار، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار، فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم، وأهوائهم، ليطفئوا نور الله بأفواههم، وخفي على هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون."(٢) وهو ما سقناه للغزالي منذ قليل.

وهذا القول يمكنني أن أسحبه بعد قليل على جميع الشيعة، مهما تفاوتت سبل التقارب بينها وبين أهل السنة والجماعة، وكذلك سأسحبه على مختلف فرق الخوارج، ومن لفّ لفهم، قديماً وحديثاً، ولابد من أن تنجلي الحقائق، ولا نتسول الاعتراف بالملة القويمة من أهلها الذين يدعون أنهم مسلمون، ولكنهم يملكون وحدهم الحق، فالحديث عن الشيعة بشكله الموجود في بطون الكتب يصيبني بالغثيان، ولابد أن تأثيره أقوى مع غيري.(البابية والبهائية من الباطنية المحدثين)

إذ كيف تتطور البشرية كل ذلك التطور، ويمكن للإنسان أن يستخرج كل مكونات الأرض، ويمضي

١- تلك هي التي قصمت الإسلام وحجمت دوره العالمي وقزمت مكانته ووأدته سريعاً بعد أفل من قرن من انتشاره الواسع، وذلك أن الساحر بهذا الشكل لم يتوقف على ما هو شيعي ، بل استمر حتى اليوم فأهل السنة لا يقبلون إلا ممن هو سني المذهب، والخوارج كذلك، والمعتزلة فعلوا نفس الأمر والفلاسفة، والفقهاء عظموا الفقه على حساب النظر العقلي وغير هذا، وفي العصر الراهن فإن السلفية لا يأخذون إلا من السلفي أو من يُمَوّل مشروعهم وكذا جماعة الإخوان المسلمين العالمية التي تدعي علاقتها بالدين الإسلامي الحنيف ،وما هو إلا ذنب البا وقطب،وأشياعهم، وسيثبت التاريخ يوما أن البا وقطب وغيرهم من المنظرين كالمودودي مجرد عملاء سذج، لم يصلوا إلى مكانة عالية إلا بعضّ تبعية الحمقى لهم وبغضّ استغلال الجهل والمرض والفقر في أوساطهم فحسب

٢-المصدر السابق، صـ٢٢٧ وسنتوقف عن الحديث عنهم وعن تحريجاتهم، فهي مفضوحة ومعجوجة في كل مكان، وإنما أريد أن أثبت فقط أنهم ليسوا من المسلمين وأنهم استغلوا بعض نقاط الضعف وتغلغلوا منها للحكم، ووصلوا للحكم فعلاً، وعليهم واجب هو هدم الدين والملة تأراً لدولتهم القديمة ، فهم يهدمونها بنفس المعول التي هدمها في السابق ولكن على نحو متباين

الطب في هذا التقدم الكبير، وتتسارع الأمم للأمام ونرتد نحن باسم الإسلام الذي أضاء الله به الدنيا إلى الخلف فراسخ كثيرة وحقب مديدة، ونستمد سعادتنا في عصرنا الراهن من الأزمنة السابقة، كل الأمم تتقدم للأمام وتمحو سيئات الماضي بحُسن أفعالها في الحاضر؟

أرى أن إيران الشيعية لا توقف ترسانتها العسكرية والفكرية لاستعادة القدس الأقدس عند المسلمين – جميعاً - بل توقف كافة إمكاناتها في استعادة الكعبة والمسجد النبوي الشريف (إرث فاطمة) من يد آل سعود اليوم بوصفهم مغتصبين لهما.

ولما كنت أربط بين عدم اهتمام اليهود بالكعبة أو المدينة المنورة رغم أن محمداً(ص) قد قاتلهم وشردهم، وأباد بني رقيظة وأجلاهم عن مواطنهم التي استوطنوها قروناً طويلة، بقدر ما يهتم اليهود بطور سيناء في مصر.

ومن ثمَّ يمكنني القول – مطمئناً- إن الشيعة فرقة يهودية بلا جدال، وأن عبد الله بن سبأ الذي يُشكك البعض في وجوده إنما هو تجسيد لتلك العلاقات.

المبحث الثاني: الخوارج.
(دعوة لقوقعة الإسلام في البداوة)

قصة الخوارج معروفة ومشهورة، وهي تبدأ عند قبول الإمام علي التحكيم في الخلاف بينه وبين معاوية بإيعاز عمرو بن العاص، فقد رأوا أن التحكيم خطأ، فالحق ظاهر في جنب علي، ولا يعتوره شك في ظنهم، وقبول التحكيم دليل على الشك من علي في أحقيته بالخلافة(١) وهم إنما قاموا معه في حروبه لاعتقادهم بأن الحق في جانبه، فكيف يشك هو فيه؟

لم يرض هؤلاء بفكرة التحكيم، فخرجوا على عليّ، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقرَّ على نفسه بالكفر(وهو ما فعله الحجاج معهم في إحدى معاركه على نحو ما هو مشهور) لقبوله التحكيم، وإلا إذا نقض ما أبرم من الشروط بينه وبين معاوية، ولكن علياً رضي الله عنه، لم يستجب لرغبتهم هذه، فأخذوا كلما خطب أو ضمه وإياهم مجلس نهقوا بقولهم:" إن الحكم إلا لله".

ثم كانوا يداً واحدة فترة من الزمن، وبدأ داء التحزب يشق صفهم، فبلغ عدد أحزابهم كما يقول بعض الدارسين عشرين حزباً، كل حزب يفارق الآخر في المبدأ والعقيدة، ولكنهم يجتمعون على مبدأين هما:(٢)

الأول: إكفار عليّ، وعثمان والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بالتحكيم.

الآخر: وجوب الخروج على السلطان الجائر.

١-أقول في هذا السفر وما سيتلوه من أسفار قادمة إن جميع الفرق والمذاهب التي ظهرت حمل طابعاً دينيا إسلامياً هي سياسية فقط، والذين مجرد رداء لطيف يحاطون به العامة، وقد رأينا عقب الثورة المصرية مشاجة شعب يدعي أنه يمتلك حضارة مئات السنين وفي الحقيقة هو مازال يحبو جاهداً إلى الطفولة البشرية، ومازالت أدوات الخداع باسم الدين منصوبة وتعمل وتربح وغاية أي إسلامي أو مدعي أنه إسلامي الربح بالسلطة أو القرب منها أو الأخذ منها بحظ وافر

٢-انظر د مصطفى الشكعة إسلام بلا مذاهب حيث تحدث عن نشأتهم وشعارهم ، وأهم أحزابهم وعقيدتهم ،وتحدث بشكل وافر عن الأزارقة والصفرية والإباضية وإمامة الجلدي وإمامة الحروصين وإمامة اليحارية والإمامة اليوسعيدية والدولة الرستمية في المغرب القسم الثاني صـ١١٥-٢٣٠ طبعة هيئة الكتاب،٢٠٠٥م

ولأذكر من تلك الأشعار ما قاله قطري بن الفجاءة وهو من أكابر قوادهم

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الابطال ويحك لن تُراعي
فانكِ لو سألت بقاء يوم عن الاجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حيّ فداعيه لأهل الأرض داعي
وما للمرء خير في حياة إذا ما عُدّ من سقط المتاع

وقد كان من أشهر ما دعوا إليه بالنسبة للخلافة وهو مناقض تمامًا للشيعة بجميع فرقهم: " إن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير الخليفة فليس يصحّ أن يتنازل أو يُحَكَّم، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشياً، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم، ولو كان عبداً حبشياً، وإذا تمَّ الاختيار كان رئيس المسلمين ويجب أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله، ولهذا أمّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي، ولم يكن قرشياً"[1] وأرى أن الأستاذ أحمد أمين قد خانته قريحته النابهة في الفقرة الأخيرة؛ إذ قال إنهم لما أقروا مبدأ ألا يكون الخليفة وقفاً على قريش أمَّروا عبد الله بن وهب الراسبي، وما أراه أنه لما نصّب نفسه عليهم حاكماً أقروا هذا المبدأ، فلو أنهم فعلوا كما يرى الأستاذ أحمد أمين لكانوا بصدق أصحاب مبادئ ديمقراطية لم يسبقهم إليها أحد إلا ما كان في روما قبل الميلاد، ولكنهم لم يخالفوا عن طبيعة الجزيرة العربية، ولما رأى الجميع أنه لا فكاك من أسر الدين وأن الفتوحات غالبة لصالح جماعة المسلمين وفيها من الخير الكثير، وخاصة من بلاد الشام ومصر والعراقين وخراسان وغيرها، فليكن الوصول إلى السلطة لتحقيق مبادئ دينية تصب – في الظاهر – في صالح المسلمين، والحقيقة أنها تصب فقط في جيوبهم هم، وتشبع نهمهم المتعطش للسلطة والسلطان.

أهم فرق الخوارج: تذكر الكتب أن هناك عدة فرق شهيرة للخوارج منها:

الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق، ويكفِّرون من عداهم من المسلمين ويعاملونهم معاملة الكفار... إما الإسلام(أي على مذهبهم) وإما السيف، ودارهم دار حرب، ويحلُّ قتلهم وقتل نسائهم وأطفالهم، ولا يرجمون الزاني المحصن، ولا يرون جواز التقية.([2])

النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر، وهم يرون أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن رأوا أن الحاجة تدعو إلى إمام أقاموه، وإلا فلا.. قد يحتاجونه في حالات الحرب فقط، وهم بذلك يرتدون إلى الخلف مرة أخرى إلى ما قبل ظهور الإسلام ووجود دولة لجماعة المسلمين - بإقليم محدد المعالم وسلطة تباشر أعمالها وفق دستور الإسلام (القرآن الكريم- والسنة النبوية) كما أنهم يعادون فرقة الأزارقة، ويكفرون من يكفر القاعدين عن الهجرة إلى نافع وحزبه ويقولون: إن الدين أمران:

الأول: معرفة الله تعالى، ومعرفة الرسول، والإقرار بما جاء به جملة، فهذا واجب معرفته على كل مكلف.

الثاني: ما عدا ما تقدم، فالناس معذورون بجهالته إلى أن تقوم عليهم الحجة.

١-أحمد أمين فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2001، جـ1، صـ317،
٢-راجع الشيخ محمد الخضري الدولة الأموية ، المكتبة التوفيقية

الصفرية: وهم أتباع زياد بن الأصفر، وهم يقولون بأن أصحاب الذنوب مشركين ،غير أنهم لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم كما ترى الأزارقة ذلك(الأزارقة ترى الإبادة؛ لأنهم دمويون كأبناء مؤسس المملكة الحديثة) ومنهم من يقول: كل ذنب له حد في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركاً، ولا كافراً. بل يدعي باسمه المشتق من جريمته يُقال: سارق، وقاتل، وقاذف، وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة مثل الإعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر.

الإباضية: وهم أتباع عبد الله بن إباض، وهم أعدل فرق الخوارج، وأقربها إلى تعاليم السنة (يباعدهم عن السنة الطمع في الحكم وشئون السياسة التي تباعد ولا تقرِّب) وهم يُجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا المسلمين، ومناكحتهم، والتوارث معهم، وحرَّموا دماءهم في السر دون العلانية، لأنهم محاربون لله ولرسوله، ولا مشركين، ولا مؤمنين، ولكنهم كفار(١) ويروى عنهم أنهم يريدون: كفر النعمة، وأجازوا شهادة مخالفيهم من يدينون دين الحق، ودارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان.

تلك كانت أهم فرق الخوارج التي شغلت العالم العربي قديماً بالحروب والصراعات، وأشعلوها فتنة لم تنته إلا عندما أهلكوا الجم الغفير من المسلمين، وظلوا في كفاح طوال العصر الأموي والعصر العباسي، وقد فني أغلبهم ولم يعد لهم دول تحميهم أو سياسات حالية ويُقال إنهم موجودون في بعض بلدان المغرب ونشاطهم فكري فقط، ولا يسمح لهم بممارسة السياسة، خلاف الشيعة الذين أصروا على هدم الإسلام من داخله، ومايزالون وحققوا نجاحات كبيرة بالثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، ونشر التشيع مقابل السعودية التي تحاول نشر المذهب الوهابي الذي يثبِّت عرش أبناء عبد العزيز آل سعود، والحرب بينهما قادمة في العقدين القادمين – على أقصى تقدير- لا محالة فيما أرى.

كما كان من أمر الشيعة فإن موقف الخوارج من القرآن قد تأثر بمذهبهم السياسي عندما عمدوا إلى وضع تفاسير للقرآن الكريم.

يقول الإمام الذهبي:" والذي يقرأ تاريخ الخوارج، ويقرأ لهم من أفكار تفسيرية، يرى أن المذهب قد سيطر على عقولهم، وتحكم فيها، فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوئه، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا تحت تأثير سلطانه، ولا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها."( )

ومن تأويلاتهم التي يسوقها الإمام الذهبي قولهم في قوله تعالى:" وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

١- يعتبر أهم ما أدين به تلك الفرق أنها تستخدم تحديدات دقيقة في وصفهم للناس، وقد عكف الدكتور محمد شحرور طويلاً على تحديد مصطلحات المؤمن والمسلم والمشرك والكافر والمجرم، وأكد أن ما يصاد المسلم في القرآن ليس الكافر وإنما هو المجرم، انظر www shahrour org حيث دراساته وكتبه ومقابلاته التليفزيونية وأشهر مقالاته البحثية في شئون الدين والفقه والتفسير

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "(آل عمران:٩٧) فجعلوا تارك الحج كافرا.

ومن ذلك أيضاً شططهم حين قالوا: " لو أن رجلاً أكل من مال اليتيم فلسين وجبت له النار؛ لقوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا "(النساء:١٠).. ولو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار؛ لأن الله لم ينص على ذلك".(١)

أيمكن أن يصدق أحد أن أمثال هؤلاء يحملون رسالة يُقال إنها عالمية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور؟!!!

وهم يتوسعون في التكفير ويكفرون أصحاب الذنوب وبالجملة هم يكفرون مخالفيهم في المذهب، فوق ما يكفرون الكفار إن والوهم، ومن ذلك ما يروى في الكامل للمبرد، أن:" واصل بن عطاء وقع هو وبعض أصحابه في يد الخوارج فقال لأصحابه: اعتزلوا ودعوني وإياهم – وكانوا قد أشرفوا على العطب – فقالوا: شأنك.. فخرج إليهم فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ قال: مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده. فقالوا: قد أجرناكم. قال: فعلّمونا. فجعلوا يعلّمونهم أحكامهم(لا أحكام الإسلام) وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا(مادمتم على مذهبنا وديننا).قال: ليس لكم ذلك. قال الله تعالى:" وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ..."(التوبة:٦). فأبلغونا مأمننا. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: ذلك لكم. فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن."(٢)

الإنتاج التفسيري للخوارج قليل ، فهم لم يكونوا قوم فكر وإعمال عقل، بل قوم حرب وإشهار سيف. ويرصد الإمام محمد الذهبي تلك الظاهرة وقد خلص إلى ما يأتي:

أولاً: كان أكثر الخوارج من عرب البادية. ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم من يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الديني، والعلمي والاجتماعي وكانوا يمثلون الإسلام الأول في بساطته، وعلى فطرته، واحتفظوا بسذاجة التفكير وضيق التصور هم الأعراب الذين قال الله في أشباههم: " الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "(التوبة:٩٧)

ثانياً: أنهم شغلوا بالحروب من مبدأ نشاتهم، وكانت حروباً قاسية، وطويلة ومتتابعة.. أسلمتهم حروب علي إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في

١-المصدر السابق ، جـ٢، صـ٢٩٨

٢-المبرد الكامل في التاريخ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، جـ٢، صـ ٢٣٦ وهم قوم سطحيون جدا، ولا تحديد عندهم ، فقد أعماهم مظلمهم السياسي عن الفقه في الدين، ولم يفهموا النصوص الدينية فهماً صحيحاً، ولذلك وقفوا عند ظواهر النصوص القرآنية، ولم يلتفتوا إلى ما جاء من الأحاديث النبوية ناسخاً، لبعض آيات الكتاب، أو مخصصاً لبعض عموميته ، أو زائداً على بعض أحكامه ، ويظهر أن هذا المبدأ قد تملك قلوب الخوارج

حالة تشبه الاحتضار، وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعي أن لا تدع لهم الحرب من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثاً: أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ- كانوا يخلصون لعقيدتهم ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة الجرائم فخشوا إن هموا بالتفسير أن يقولوا على الله غير مراده فيكونوا كذبوا عليه.(١)

قال القرطبي: إن الخوارج تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب.

مما سبق يتضح أن الشيعة كانت أسبق في الظهور من الخوارج، وظهرت كفرقة في عهد علي وقد كانوا من أنصاره، وهي أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها وحماسة لآرائها، وأن الخوارج قد ضادوهم في الكثير من آرائهم، وقد تلخصت آراء الخوارج فيما يأتي:-

١- الخليفة لا يكون إلا بانتخاب حر صحيح يقوم به عامة المسلمين.

٢- ليست الخلافة في قريش، وليست لعربي دون أعجمي، والجميع فيها سواء، بل يفضلون أن يكون الخليفة غير عربي ليسهل عزله أو قتله إن خالف الشرع إذ لا تكون له عصبية تحميه.

٣- تكفير أهل الذنوب، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب، بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنباً إذا أدى إلى مخالفة وهو الصواب في نظرهم، ومن أجل هذا كفَّروا علياً حين قبل التحكيم.

فالشيعة ويا للغرابة لم يناصبوهم العداء ولم يحاربوهم، على الرغم من تعارض الأفكار، بل إن تكفير الخوارج للإمام علي وحده كان كافياً لنشوب الحروب بينهما، والحق إن الشيعة لم يكونوا قوماً محاربين، فهم يهتمون بتحصيل اللذاذات في الدنيا وكانوا أبعد غاية من الخوارج وأحد نظرا منهم، ولا يحاربون إلا إذا وثقوا في النصر، وقد انحدروا من ثقافات ودول ذات حضارة خلاف الخوارج أهل البادية الساذجة والتلقائية المباشرة في حمل السيف وعدم رهبة الموت.

ولقد عمدت أغلب الفرق الإسلامية إلى تكفير بعضها البعض في الوقت الحاضر كما في الماضي، ولقد ناقش الأستاذ الدكتور أحمد محمود كريمة بواعث التفكير في الإسلام وألخص ما أورده سيادته:"(٢)

" مما يبعث على الغرابة صدور تكفير في الماضي والحاضر من مسلمين لمسلمين لأسباب واهية، ولعل أسباب التكفير خاصة المعاصر ترجع إلى عوامل أهمها:-

---

١-الإمام الذهبي التفسير والمفسرون، جـ٢، صـ ٣٠٤، وللوقوف على بعض تأويلاتهم المتهورة ، تفسير هم لقوله تعالى:" وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (النساء ٣٥) وقوله تعالى:" وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الحجرات ٩) مما أورده الذهبي من تفسير بعنوان هيمان المراد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف إطفيش الجارجي؛ لقف على مدى الجيل العقلي الذي كان يعتقده هؤلاء وأضرابهم مما يؤكد صدق ما نحو إليه من أنهم لم يكن الإسلام ولا الإيمان يعنيهم في شيء قدر السلطة والرياسة والحروب والغنائم فحسب

٢-د. أحمد محمود كريمة جريمة التكفير ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠١١م صـ٣٩ وما بعدها

١- التعصب المذهبي:

فيجب الوحدة وتحريم الفرقة، عدم التسني بغير الإسلام والمسلمين، وعدم الانتماء أو الانضواء تحت فرق. والآيات الداعية إلى الوحدة في الدين كثيرة أهمها قوله تعالى:"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "(آل عمران:١٠٣)

٢- قلة الفقه بالدين.

٣- الغرور والعُجبُ بالنفسِ.

٤- الاضطهاد السياسي.

٥- الثقة في بعض العلماء.

٦- تأويل فاسد للنصوص.

٧- التقليد المطلق.

٨ – محدودية الثقافة." وما بعدها وقد تركنا الأمثلة والتفاصيل، فليراجعها من شاء في الكتاب المذكور.

أما الدكتور محمد عمارة فقد هالته الموجة العارمة من التكفير فصنّف كتاباً في هذا أسماه: فتنة التكفير(١): ذكر فيه أن جوامع الأمة الخمسة المكونة للأرضية المشتركة بين شعوبها وأجناسها وقومياتها وأوطانها ومذاهبها – هي جوامع وحدة:

١- وحدة العقيدة ٢- الشريعة ٣- الحضارة ٤- الأمة ٥- دار الإسلام.

وقد ذكر نماذج لتكفير المذاهب لبعضها في الوقت الحاضر منها:

التكفير الصوفي للوهابية:

الطريقة العزمية – وهي إحدى الطرق الصوفية الأكثر استنارة والأبعد عن الخرافات والأقرب إلى التجديد، والتي أسسها المجدد الشيخ محمد ماضي أبو العزائم(١٩٣٧م) هذه الطريقة قد احترفت – في الكثير من منابر إعلامها وثقافتها – مع الأسف الشديد – قذف السلفيين- وخاصة الشيخ ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والوهابية بأبشع الاتهامات، بما في ذلك التكفير والإخراج من ملة الإسلام.

١- د. محمد عمارة: فتنة التكفير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٧، صـ٥٦

ففي زعمهم أن عقائد الوهابية :
عقائد غنوصية وهندوسية، هي مذهب إرهابي، وتيار إلحادي خطير، وهذا الوباء الوهابي لابد من اجتثاث تجربته الخبيثة، وهذه الطائفة المقلدة لمحمد بن عبد الوهاب مجسمة مكفرة... الخ.

التكفير الوهابي للشيعة والأشعرية:([1])

ترى السلفية أن الصوفية هم: " مشركو العصور المتأخرة.. وهم أشد كفرا من كفار قريش؛ ذلك أن كفار قريش كانوا إذا ضاقت بهم الحيل، وعلموا عجز آلهتهم عن تحقيق مرادهم، فزعوا إلى الله تعالى، أما هؤلاء – الصوفية – كفار الأزمنة المتأخرة – فشركهم بالله يزداد في المصائب والمحن، فيفزعون إلى آلهتهم: إلى القبور والأولياء، وينادونها بالغوث والمدد والأخذ باليد.. فهم أشد كفراً من أبي جهل وأبي لهب.

وأتباع هذه الطريقة الصوفية: ملاحدة.. وزنادقة.. وقبوريون... ومنحرفون.. وأمرهم واضح في الضلال والبعد عن الصراط السوي!!.

كذلك تكفر هذه السلفية الوهابية كل مذاهب الشيعة وفرقها.
قد جاء في الأصول من الكافي للكليني (٩٤١م) "عن أبي عبد الله جعفر الصادق – أن الآية " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ"(آل عمران:٩٠) قد نزلت في أبي بكر وعمر، وعثمان ، وكذلك :" إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ" (محمد:٢٥). وأنهم آمنوا بالنبي في أول الأمر ، وكفروا حين عرضت عليهم ولاية علي بن أبي طالب ...وأنهم ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية عليّ"([2])

جزء من قصة هزلية تتحدث عن الشرق والغرب:

يُحكى أن في الزمن السابق.. على هذا الزمان.. كان هناك ملك.. ملك قوي وعظيم.. ورث عن أبيه القوى العظيم.. الملك والثروة والجاه.. ويُقال إن أباه... قد ترك له ما لو أن الأرض أجدبت له عشر سنوات ما تأثرت الرعية بفضل ما في الخزائن.. عاش الملك ردحاً والناس في أمان، قلّت الحروب

١ـد. محمد عمارة. فتنة التكفير، صـ٦١

٢-الكليني الكافي ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، بيروت ، جـ١، صـ ٤٢٠ وهناك الكثير من هذا وغيره وما أشبهه لو قارنه أو كان منه مدانيا وفيه مثلاً **"لعن الشيعة للصحابة :**
"بسم الله الرحمن الرحيم ،اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما ، وإفكيهما وابنتيهما(عائشة وحفصة) واللذين خالفا أمرك ، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك ، وعصيا رسولك، وعاديا أوليائك ،وحربا بلائك ، وأهددا عبادك
اللهم العنهما ، وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ، ومحبيهما، فقد جريا بيت النبوة ، وردما بابه ، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه ، وعاليه بسافله وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله ، وأبادا أنصاره ، وقتلا أطفاله ، وأحليا منبره من وصيه ووارث علمه ، وجحدا إمامته ، فعظم ذنبهما وحلهما في سقر ، وما أدراك ما سقر ،لا تبقي ولا تذر

وتناقصت المنازعات.. أو أخمدت نيران العداوات لِما يعيش فيه الناس من رغد وهناء..

ثم لما مات... كانت زوجه تحب الحكم وكان يشاورها... ويرفع من رأيها.. وكان لقصرها مواكب من القواد والحجاب والوزراء وقاصدي الحاجات... عزّ ذلك على ابنها ... فألزمها بيتها.... وأشار عليه المشيرون بضرورة قتلها.. ليصبح الحكم له دونها.. فأرسل إليها بطعام مسموم... لكنها كانت حصيفة فأطعمته قطتها فماتت في الحال هرتها ..فقررت رد الكيد في نحره... فأرسلت تفاحا به هموم... فأكل ومات... ثم جاء أخوه وتقلدت كل شيء...

أخرجها من عنقه وأعطاها لأمه ولكبير الوزراء.. أخذ يعبُّ من لذائذ الدنيا ويهتم بالعلوم والفنون والآداب... لما رأى سحابة مولية قال لها: هاتِ ما عندكِ في أراضيه..

ثم ترك أخته فعبث معها أحد وزرائه بحجة أنه نديمه ولن يخونه... لكنه خانه.. فأطاح مسرور بالرقاب وعلق على المشانق الأجساد.. وكانت مصيبة مدوية.. وذكَّرت الناس بالدموية!

ثم لما شارف الموت كالسابقين طلب أتاناً فأتوه بواحدة لا حول ولا مقدرة.. ولما رأى الطبيب بوله دون أن يعرف أنه له قال لهم : اجعلوا صاحبه يستوصي.

وكان عنده أولاد كثيرون، فأوصى بالملك للصغير لأنه ابن الحرة والعاقل الكبير ابن مراجل الجارية، وهل يستوي ابن الجارية بالحرة؟؟؟

مضت الأمور والحال يسير ببطء.. حتى عنَّ للملك خلع أخيه، فنشبت الحروب وكان مع المخلوع أخواله ممن لهم ثارات عند الملك وآبائه، فنقموا عليه تجرأه وقاوموه حتى قتلوه..

فصار الملك على الناس نكدا.. والوزارة صارت مع الأيام مغارة لا يدر أحد ما حوت.. ثم عنّ له التفكير في كتاب الله ... فقال إنه مخلوق.. فراجعه أهل السنة والحديث.. قال بل أنا على رأي أهل التفكير الحديث.. وصارت رزية ومع الأيام تزداد الأمور بلية.. ثم بعد سنين أمر العمال أن يحملوا الناس على القول بخلق القرآن.. فقال الناس أمام الجلادين والأغلال: طبعا مخلوق. ورأس الخليفة وآبائه الملوك.

إلا رجلاً صمد للجلد والإهانة.. ولما مات الملك استوصى أخاه وأوصاه بضرورة القول بخلق القرآن.. فكان الرجل في مكانه حيث الجلد والإهانة.. ثم بعد موت اثنين منهم جاء من توكل وأنهى القضية وأعاد الأمور للرشد وقال القرآن كلام الله ولا أزيد، ولا أعرف أهو مخلوق تجري عليه الحادثات أم قديم قدم الله وهو غايته من خلقه.. ثم فهم الناس أن هؤلاء شرذمة ضالون كآل فرعون يريدون أن يخرجوا موسى وشيعته من ملته.

وتعاقبت الملوك إثر الملوك.. ملوك ضعاف.. وملوك أقوياء.. ثم تفتتت البلاد.. واستقل كل حاكم بمجموعة من العباد.. يسير فيهم كما شاء... وجاءت خلافة من الشرق تنافس الخلافة من المغرب.. وجاء الصليب يقاتل باسم الرب ويحمى الذمار ويستولي على الديار... ثم هجم الشرق هجمة قوية.. أطاحت بكل موارد الدولة العفية وأخرجوا الكنوز ووضعوها في الأنهار وعبروها.. وحطموا السُرج المنيرة من قرون طويلة...

ثم وقف الناس للهجمة الشديدة وردوها.. ومع توالي الأيام صارت الحكام تتعاور بعضها حتى أفضوا بالملك لرجل أعجمي يقول إنه سني، كان يحارب الأعداء، ثم حقد عليه أهل البلاء، فجاءهم يؤدبهم ويستولي على ديارهم.. وأخذهم عبيدا لأهله... ثم طمس الأنوار... وقال الناس أسرار.. فأنا ومن عندي الملوك والناس خدم وعبيد... ومن يقول بغير ذلك قطعناه إربا.. ومن عند الصدر الأعظم يرسل المندوب ليجمع المعلوم... والمندوب يسرق من قوت الناس.. حتى جاء رجل مقاتل أراد في الميدان أن يقاتل.. جيَّش الجيش وحارب أعداء الملك حتى حين.. ثم بعد فترة حارب الملك، وأعداء الملك قالوا ننضم للملك للتخلص من هذا اللعين.

شرط عليهم ملك البلاد للأولاد.. وافقوا وبعد سنين أوقعوا البلاد في فساد.. حتى صار الحاكم صورة... وجاء أبناء البلاد.. تنقصهم الخبرة والكفاءة قالوا البلاد يجب أن تكون للعباد.. استعان عليهم ولي الأمر برجال من البر والبحر... هزموهم وشردوهم...

ثم قامت حروب في العالم.. كبرى... وبعدها ثورات ورغبات في أن يستقيم كل عود بحاله... فقالوا هناك جماعات إسلامية نتعاون معها في شق الصفوف الأمامية.

شريطة أن تكون الإسلامية إرهابية، ندربها ونحميها ونوجه غاياتها ونقويها، فلم تعد لدينا القوة وهناك أمور جديدة على الساحة.. نعمل في الخفاء على صعود ملوك يدينون لنا بالولاء...

وقال أهل الرأي عندهم إن فقدنا هيبتنا فلا أقل من أن تظل وحدتنا، ولنأتي برجال آخرين نجلسهم على المقاعد آمنين حتى نأخذ منهم الملايين.. ونهيأ لهم صنع الإرهابيين.. حتى نخوفهم في العالمين.. فاختاروا قوتين واحدة بلا حرم والأخرى فيها حرمين .

أما الأخرى فكانت رمانة الميزان أعطوا للحاكم الجديد ألاف الاسترليني (٥٠٠٠) كل شهر ومولوه بالسلاح والتوربيني، فكان الرجل شرسا، عنيدا، قتل مئات الآلاف مما جعل الكل منه يخاف، وقطع الأطراف، وشرد الباقين الذين كانوا لحكومته رافضين، فخاف الأحلاف وقالوا: إن هذا الرجل محارب قديم... يطلب الملك فإن أخطأه استدار بإخوانه وميليشياته فعاث في البقاع.. وأحرق الضياع..

وكانت الدولة الأخرى انسلاخا هيناً من دولة كبيرة المشارق والمغارب ولها في التاريخ جذر ضارب. غير أنها أبقت على شريط للصراع، حتى تجد ضرورة التدخل عند التصدع.... وفي أوربا سأل الناس ما هاتان الدولتان؟

فأجاب الذئب العجوز: هاتان دولتان إسلاميتان، ترعيان السنة وتمجدان سلف الأمة ولهما في الدين والملة فهم جديد، ونحن نشجع الفهم الجديد.

ومن فهمها الجديد برأينا أنها ستحقق لنا الآتي: تصبح قوة مضادة تتصدى للإيديولوجيات القومية العلمانية والشيوعية السوفيتية، وستتوليان تمويل بقية القوى في الدول المجاورة لتكون قوة عضلية محافظة الداخل لدحر القوميين العلمانيين ومساندة النظم الموالية، وبصفتها قوة صدام تزعزع استقرار الحكومات وتطيح بها، وبوصفها قائم مقام قوة عسكرية لخوض الحروب الأهلية، وبوصفها أدوات سياسية لدفع الحكومات للتغيير.

قال الحكماء: وما فهمهم الجديد في الدين ؟
قال الصانعون لهم: أن الإسلام ليس مجرد دين، وإنما هو أيديولوجية سياسية ينبغي أن تندرج في كافة مناحي المجتمع الحيوية.
ولو سألتم الخبير الكبير يقول لكم إن الإسلام أكبر قوة رجعية في العالم " وأن الدعوة المحمدية هي عقيدة متشددة ميالة للحرب وصابئة."
قالوا: وكيف اخترتم الرجال؟
قالوا: لا مجال للكذب، فنحن نجيده على الطامعين فحسب، أما هنا في بيت العموم لا نكذب، نظرنا

في ثلاثة رجال: واحد أسميناه رجل عجوز، وتركته تتقاسمها الذئاب. والثاني يريد أن يحلّ محله، فقلنا نؤيده ونسانده، وجاء ثالث من أقصى البلاد يسعى نحو الملك ويقول: فقط أعطوني ما تحيط به الماء. فقلنا: ما معك حتى تأخذ ما تحيط به الماء؟

قال: معي الدهاء، أمرُّ على كل قرية أتزوج بنت سادتها وأنجب الأولاد وعندي إخوان ورثتهم عن آبائي متعطشون للدماء سفاكون وقاتلون للأحياء.

فقلنا هذا الرجل يخدمنا؛ فإذا قتل من الناس ألفا، في البعيد تتصدى لهم الثارات ويرحمنا. ففضلناه وواسيناه وأعطيناه المال والسلاح، ولما تعالت الصيحات إنه قاتل إنه سفاح كنا نقول: تلك مشكلات داخلية بين أهل العربية والعصبية الدينية، ونأينا بأنفسنا واتخذنا النعامة قدوة وإمامة.

كان الناس يقولون إنهم يقتلون النساء لأنهن يخرجن إلى الشارع ويجلسن في المتاجر، ويرفضن كل قول يخالف الوهاب؟ فنقول: لعلها تعاليم الإسلام .

قال العموم: طالما هو رجلكم فلماذا لم تتعهدوه؟

قالوا: في وسط أتون الحروب لم ننشغل عن المطلوب، وفي العام الثاني(١٩١٥) للمكروب وقعنا معاهدة تبيح له الحكم والقتل والسفك وكل ما يريد.

ولكنا كنا محتاطين.. فكنا نسانده ونساند الرجل الحكيم، وقلنا لعله يفشل في إحكام الأمر والسيطرة، فيكون لنا عند الآخر مقدرة.

لكن الرجل هاج وماج وأزهق من الأرواح مثل حربنا الكبرى، وكنا في إنذهال، لو قتلت بريطانيا كل هذا العدد في فتح الهند كانت أُفنيت عن بكرة أبيها، ما بال هؤلاء الأوباش! وكنا في اندهاش.

ولما قامت ضده حركة ثورية، اعتبرها جماعات إرهابية، فقلتهم كلهم وشردهم كلهم وكان يعطي القدوة لمن يأتي من أعقابهم .

وقال عنهم حكيمنا إنهم متزمتون قساة، ومسلحون جيدا ومتعطشون للدماء، وأنهم يرون أن من واجبهم مثلما هو من إيمانهم، أن يقتلوا كل من لا يشاركونهم آراءهم وجعل أطفالهم ونسائهم عبيدا لهم. وقد جرى إعدام النساء في قرى وهابية لمجرد ظهورهن في الشوارع. وكان لبس زي من الحرير جريمة جنائية، وتم قتل الرجال لتدخينهم للسجائر الأجنبية.

وهذا الوصف وأمثاله جعل ولاس كونجريف القائد المعروف يقول بمرارة إن العرب واليهود

والمسيحيين في سوريا وفلسطين كلهم بهائم على حد سواء، وكلهم جميعًا لا يساوون رجلاً إنجليزياً واحداً".(١)

قالوا: وما الجديد؟

قالوا: خشينا أن يمتد الدور ويظهر المطمور، ويطمع الرجل في استرداد تركة الرجل المريض، وكان قد مات وورثه أتباعنا .

فنظرنا للبلاد الأكثر سكاناً وتديناً، فنصبنا من بينهم رجلاً منا أعطيناه من قناة السويس أموالاً، ففرح بها وجرت له أعمالاً، كنا نتخذه مطية للضغط على الحكومة الأبية، ساندوا فلاناً، يساندونه مطيعين.. عارضوا فلاناً، يعارضونه محبين. وكانوا فرحين بالأموال تتدفق عليهم دون نصب أو تعب أو جهد مبين.

سأل سائل من العموم: ولما قامت دولة بني يعقوب، وبن جوريون المحبوب، ماذا فلعتم للأشقاء اليهود؟

قالوا: جندنا أحد الحكام وأرغمناه على الدخول في معاهدة سلام، وكانت المعاهدة سرية، وأعطيناهم من الأسلحة القوية ما لا ينصلح به الحال ووجدنا أكثرهم فاسدين، همهم الربح ولو على أرواح الملايين.

فاجتمع الأمين كلهم عدا الأحباب السريين وما غلبوا من اليهود إلا أعطوهم شرعية وتدخلنا لوقف العمليات العسكرية بعد أن مالت الكفة لصالح بني جلدتنا القوية.

وكان حليفنا يرسل بمن يعارضونه للجهاد في فلسطين، حتى يتخلص منهم وينيلهم شرف الجنة العظيم، وكانت الأردن ممنوعة عليهم، ووجدوا أنهم ليعبروها سيحاربون بني جلدتهم فكانوا هملاً واضطروا للهزيمة وعادوا للرجل مسالمين.

قال العموم: ظهر في الشرق دهاء ومكر وخطر، فكيف استخدمتم هؤلاء الملاعين؟

قالوا: لم نألو جهدا، فقد أوعزنا لرجال من بلاد يجري فيها شريان عظيم، وأفهمناهم أنهم سيواصلون الانبعاث الحضاري وأنهم سيخرجون الناس من الظلمات إلى النور الجاري، وكتبوا في مجلات

١ـمارك كورتيس: تاريخ التآمر السري بين بريطانيا والأصوليين، ترجمة كمال السيد، المركز القومي للترجمة ،ط١، ٢٠١٢م، صـ٣٥٦

الماسونيين، ورأينا فيهم الطامحين فخوفنا منهم ذوي السلطان عبر عملائنا المقربين، فأبعدوهم وأدخلوهم السجون وأصبحوا من الملعونين، وهناك تفرغوا للنظر في الدين وفسروا الكتاب المبين، وكتبوا أنهم حماة الدين وظلاله ولم نسمح لهم بالحديث عن النبوة، حتى لا يتمكن الرجل العلماني من قبرهم أجمعين وقلنا لهم أنتم فحسب المستأنفين.

ثم لما انتهى دورهم وجاءوا بكل ما عندهم رأينا أن نتخلص منهم قبل افتضاح أمرهم.

وجاءت الحرب الجديدة وحرك حلفاؤنا الأمور، وأصبح الرجل الذي كان يقتل النساء في الشوارع ذا ثروة طائلة، منع عنا البترول، فزادت أسعاره وحقق أموالاً طائلة .

وصار أبناؤه الوارثين يرسلون بالمال في كل فج يدعو إلى مذهبهم ويستميل الناس ناحيتهم، وبنوا المساجد وطبعوا الكتب، وصنعوا الدعاة المجاهرين وأوجدوا المنابر للراغبين المادحين.

قال المادحون لهم ابنوا المساجد واطبعوا الكتاب المبين، فبنوا ١٥٠٠ مسجدا وطبعوا من الكتاب الملايين.

وكانوا يخافون الانشقاق من العامة فشغلوهم بالإرهابيين، ولعدونا حشدناهم كلهم بأفكار المتنبئين، والمستأنفين الدعوة للدين الحكيم، حتى إن سيدتنا والحاكمة قالت لهم: إن تحالفنا مع الإسلام تحالفاً استراتيجياً وإننا نحترم الإسلام أجمعين.

ثم طلبت من الملوك تغيير الإشارة والتواضع للعمارة. فرضخوا مسرعين.
قال العموم: إنها قالت ما قالت رغم أن حليفها لا يؤمن بالتعددية السياسية، ولا حقوق المرأة، ولا الديمقراطية.
قالوا: كانت ضرورات والضرورات تبيح المحظورات، ولكي نبني مجدا لا ينبغي الحديث عن المثاليات.
ثم أوعزت حليفتنا إلى أعداء الفرس بالاستيلاء على جارتها ففعلت، وحشدنا الحشود لكي نخرجها وأسقطنا الديون عن المعاونين من أهل الملة والعِرق والدين.
فأخرجناه من الأرض القريبة من التي باركها إلههم، وجاءه الإرهابيون يقولون: دع لنا ولجنودنا الحماية فنحن أولى بها .
فقال تركي لهم: بل يحميها القادر على دحرهم وإخراجهم، وكانوا يخافون من الاثنين: الغزاة، الحماة.

قال العموم: لماذا رفض الرجل حماية الأقربين؟
قالوا: الحماة البعيدون لن يطمعوا في الحرم ولا رغبة في السيطرة على ما لا يتسق وأديانهم. أما المقربون فهم حاقدون ناقمون حانقون، وقد يكوِّنون في المستقبل فرقا للإطاحة بالملك التليد، وقد يسأمون من الوصف والوصم بأنهم إرهابيون.

قال العموم: أنتم استخدمتم الجماعات المتأسلمة طويلاً في تشكيلة من الوظائف الأساسية للسياسة الخارجية، استخدمتموهم كقوات لتشجيع القلاقل والانقلابات، وكقوى سرية وكيلة تعمل بالنيابة للقضاء على قادة العدو أو كقوى محافظة تساعد في دعم النظم الموالية للغرب. وأحسنتم صنعاً باستضافة هذه الجماعات في لندن فقد وفرتم مزايا أخرى للسياسة. كان أحدها هو التمكين من إقامة علاقات مع قادة المستقبل.

لكنكم فشلتم في استثمار بلاد الوادي والشريان !

قالوا: كلا.. الفشل حتى حين.. سنؤلب عليهم المواجع وسيكونون قادة الغد... وستجدهم يتشاجرون مع العالمين إلا نحن والحلفاء المخلصين.
قال العموم خاتماً كلامه: إن فعلتم ستكون حققتم المرام بالسيطرة على كل الأعداء، ونحن نمدكم بكل العطاء.

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول إن أغلب المباحث في هذا السفر جاءت على عجلة، ولكن العجلة مدعاه أنها أمور معلومة وإنما أردت تسجيل موقفي تجاهها.

وكنت أحب أن أؤكد دوماً التفرقة بين الإسلام دين وعقيدة ومعاملة وعبادة وبين دولة الإسلام، أو الحكومة التي تحكم باسم الإسلام ومن هنا أقول- مطمئناً- إن الإسلام انتشر بحد السيف، كما يرى بعض المستشرقين، وتلك من الحقائق التي لا أرتضي – ألبتة- دحضها وتهافتها، والدفاع عنها، ولا أرى المزاعم التي تفندها باعتبارها فرية ضد الإسلام، ولكني أود القول – باطمئنان أكثر- إن فرض الإسلام قد خالطه نشر الدعوة الإسلامية، فلقد لاحظنا عبر قراءتنا لعشرات الكتب أن الدول الإسلامية لما فتحت أو غزت بلدانا مجاورة أو بعيدة جدا عن بيضة الخلافة أو مركز الدولة (المدينة المنورة - الكوفة – دمشق – بغداد – قرطبة – القاهرة – تركيا) استمر وجودها سياسياً لفترة، ثم انزاحت لأفعال سياسية وعسكرية مضادة، غير أن الدعوة الإسلامية للآن لم تخرج من تلك الدول، وقد رأينا أمرين يجب التوقف أمامهما ومناقشتهما وهما:

١- دخول الإسلام في بعض الدول دون وجود جيوش عسكرية .
٢- تقاتل الدول الإسلامية مع بعضها البعض بصفة سياسية وعسكرية، دون أن ينزع ذلك الصفة الدينية عن الطرفين بشهادة من أكثر من وقع عليه الظلم من ذلك ومنذ عهد بعيد جدا، فنرى الإمام علياً بن أبي طالب عندا سُئل عن الذين قاتلوه – من الصحابة – في موقعة الجمل عام ٣٦هـ :

- أمشركون هم؟..
قال: من الشرك فروا.
فسئل: أمنافقون هم؟..
فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً..

فسئل: فما هم؟..
فقال: إخواننا بغوا علينا.
وهذا مشهور ومعروف ومروي في أغلب الكتب.

- الإسلام احتكار على كل طائفة ولليوم يستمر هذا النهج.

العرب ظلت لعدة قرون من خلال الفرق المذهبية المختلفة (كالشيعة والخوارج وغيرهما) ينظرون إلى أحاديث النبي باعتبارها أحاديث رجل من قريش أو من بني هاشم، توسل من خلالها أن دانت له أغلب العرب، ووّحد أغلب الجزيرة وصار يحكم المدن وكوَّن دولة كبرى، فلم يقفوا عندها، وربما وقف بعضهم من آي القرآن باعتباره قرآن محمدٍ، لا نقول إنهم يرون أنه افتراه بل يقولون إن أصحابه الذين تولوا الخلافة مباشرة دلسوه وحرَّفوه لخدمة أغراضهم السياسية، فحذوا منه ما يمدح آل البيت وما يعيب بني أمية وهذا حدث في الجمع الثاني، ولذا فهم يرون أن القرآن له جمع آخر عند الأئمة، أو اندثر وبرروا قوله تعالى: " وإنا له لحافظون" بأنهم الأئمة يحفظونه في صدورهم.

واللافت للنظر اليوم أن من يبحث في العالم الإسلامي سيجد:

- لغات شتى ودين واحد.
- مذاهب شتى وأهداف متباينة، فالشيعة يريدون استرداد إرث فاطمة من آل سعود، ويوجهون طاقاتهم ضد السنة كما حدث في العراق، مرارا، ويحدث اليوم في بعض دول الخليج، والهجمة على مصر في العقد القادم.
- أن المسلمين تقاتلوا مع بعضهم – ربما – أكثر ما تقاتلوا مع غيرهم وكان ذلك كله سببه الملك، وحدث أن كانت الأعوام ٦٤-٨٦ هـ من أشد الأعوام قتالاً بين الفرق الإسلامية، وكانت إقامة دولة بني العباس على أنقاض دولة بني أمية بحروب شرسة طويلة أزهقت آلاف الأرواح، ثم الحروب التي خاضوها بعد ذلك لتثبيت العروش، ثم الحروب التي تلت قيام وانهيار أية دولة، ثم الحروب السنية الشيعية (تركيا – إيران) ثم حروب الدولة العثمانية والدولة المملوكية في دمشق والريدانية بمصر ، ثم حروب محمد علي للوهابيين، ثم.. ثم.. ثم حروب العراق على الكويت، وحروب العرب للعراق لإخراجه من الكويت.. ثم. لليوم ستتجدد الحروب، وكل هذا لابد من التأكيد على أنه برئ من الدين الإسلامي.
- كل هذه الحروب تخدم أمراً واحداً وهو أن دعوة محمد كانت دعوة محلية، ولم تحل مشكلات العالم ولا تحل مشكلات الجزيرة العربية ومن حولها، ومن ثمّ فعليهم أن يتركوها وراء ظهرهم، طالما كانوا يكّفرون بعضهم البعض، ويناصبون بعضهم البعض العداء.

- كل العالم يتقدم من حولنا ونحن مازلنا – بفضل حكامنا- نختلف على الموروث البعيد بحجة أن من ليس له ماضٍ ليس له مستقبل، وأرى أن في السنوات القادمة ستتجدد الصراعات الدموية وستحدث انقلابات كبرى مالم يسارع أولو الأمر.

- في ختام هذا السفر الضيق أعتذر عن كل ما فيه من جرأة قد تبدو مخالفة لبعض العوام، وأعتذر عن تسرع وإهدار الحبر على الورق لتسويده دون تحقيق الهدف المرام.

وأتوجه إلى الله العلي أن يلهمني الطاقة والصبر حتى أنجز السفر القادم (سفرنا كلنا) سفر: الحروب الإبراهيمية. فإلى هذا السفر الجديد.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس(العهد القديم- العهد الجديد)

١- أحمد أمين: فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٢-د.أحمد راسم النفيس، بيت العنبكوت، طبعة القاهرة، ٢٠١٠م.

٣- د: أحمد العنزي الذي ناقش (فلسفة الجنون) لدى ميشيل فوكو، د. ط.

٤- د. أحمد محمود كريمة: حرمة التكفير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١١م.

٥-د إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الفلسفة، في الفصل الخاص بالحديث عن الفلسفة والدين ،، مؤسسة دار الكتب، ط٦، ١٩٩٣م.

٦-د. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

٧- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة التوفيقية، ١٩٩٩م.

٨-توفيق الطويل:أسس الفلسفة، دار النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٠م.

٩- جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، طبعة دار الهلال، د.ت.

١٠- جرجي زيدان: آداب اللغة العربية، طبعة دار الهلال، د.ت.

١١-جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة دار الهلال، د.ت.

١٢-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، ٢٠٠٦م.

١٣-جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التوفيقة، ٢٠٠٦م.

١٤-رجب البنا:الشيعة والسنة والاختلاف في الفقه والفكر والتاريخ، دار المعارف، ٢٠٠٥م.

١٥-الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م.

١٦-د.سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م، ع٦٦.

١٧-سليم حسن: موسوعة مصر القديمة التي قامت بطباعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

١٨- سمير مرقص: فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب، هيئة خُدام المهدي، ٢٠١٠م.

١٩-سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط٥، ٢٠٠٦م.

٢٠-سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق ط ٣٧، ٢٠٠٨م.
٢١-د. طه حسين: الفتنة الكبرى، دار المعارف، ط٨، ٢٠٠١م.
٢٢-عباس محمود العقاد، ما يُقال عن الإسلام، جـ٢ مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٢هـ(إعادة طبع)
٢٣-عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.
٢٤-عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
٢٥-عبد السلام الترمانيني: الرق، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، ع ٢٣، نوفمبر١٩٧٩م.
٢٦-عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: تفسير المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠١م.
٢٧-د. عبد العزيز غنيم عبد القادر، قصة البيت الحرام، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠٠٧م.
٢٨-د. عبد العظيم المطعني: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٠م.
٢٩-عبد الملك ابن هشام المعافري: السيرة النبوية، المكتبة القيمة، د.ت.
٣٠-عطية صقر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط٣، ٢٠١٣م.
٣١-د.علاء الدين سعد جاويش: تأملات حول نساء الحياة، مركز الحضارة العربية، ط١، ٢٠١٠م
٣٢- د .علاء الدين سعد جاويش: جماليات السرد في قصة بقرة بني إسرائيل: مقاربة سيميائية (مجلة كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ، ٢٠١١م.
٣٣-د. علي سامي النشار: نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، دار المعار، ١٩٩٥م.
٣٤-الحافظ بن كثير. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، المكتبة القيمة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٥-بن كثير: البداية والنهاية، دار العقيدة، ٢٠٠٧م.
٣٦-محب الدين الخطيب ألف كتابا في الشيعة أطلق عليه اسم: الخطوط العريضة لدين الشيعة، وقد نشره مجمع البحوث الإسلامية ٢٠١٢م
٣٧-محمد أحمد أبو زهرة: خاتم النبيين، دار الفكر العربي د.ت.
٣٨-محمد أحمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، دار الكتاب العربي، د.ت.
٣٩-محمد أحمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي.
٤٠-محمد بن إسماعيل البخاري: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شرح أحمد بن حجر العسقلاني ، مكتبة الصفوة، ٢٠٠٩.
٤١-محمد بن أحمد بن إبراهيم(النيسابوري) الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية ، ١٩٥٥م.

٤٢-أبو عبد الله القرطبي ت ٦٧١ هـ: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
٤٣-الكليني: الكافي، طبعة دار الكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
٤٤-محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، تحقيق: هاني الحاج، عماد زكي البارودي، خيري.د.ت.
٤٥-محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، ط١٩٩٢،٥.
٤٦-الإمام محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م.
٤٧-الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٩م.
٤٨- د.محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم حقائق تاريخية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٠م.
٤٩-د.محمد عثمان الخشت: للوحي معانٍ أخرى: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣م.
٥٠-د. محمد علي الصلابي، السيرة النبوية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع.د.ت.
٥١-د.محمد عمارة: تقرير علمي، هدية مجلة الأزهر الشريف لشهر ذي الحجة ١٤٣٠هـ
٥٢-د.محمد عمارة: صحاح السنة، هل هي بيت العنبكوت، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣١هـ
٥٣-د.محمد عمارة: فتنة التكفير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٧م.
٥٤-الإمام محمد الغزالي: فضائح الباطنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.
٥٥-محمد كامل حسين: الذكر الحكيم من وجهة نظر عصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط ٢، ٢٠٠٥م.
٥٦-محمد فريد وجدي: السيرة النبوية تحت ضوء الفلسفة والعلم، الأسرة، ١٩٩٩م.
٥٧-د. محمد محمد الحسيني: أحداث في حياة سيدنا إبراهيم، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠٠٥م.
٥٨-محمد بن يزيد المبرد: الكامل في التاريخ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٥٩-محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم، دار اليمامة، ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢م.
٦٠-: محمود الخفيف: إبراهام لنكولن (هدية الأحراج إلى عالم المدنية) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٦م.
٦١-د. مجدي محمد حسين: النص القرآني ومعايير الفصاحة، مؤسسة حورس الدولية ،٢٠١٢م.
٦٢-د. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.
٦٣-مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٥م.

الكتب المترجمة:

١-إميل درمنجم :حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠٠٩م.
٢-أرسطو طاليس: الخطابة، أبو علي بن سينا، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٩م.
٣-برنارد لويس: أين الخطأ، الهيئة المصرية العامة للكتب(مكتبة الأسرة) ترجمة: د. محمد عناني، تقديم د. رءوف عباس.٢٠١٠م.
٤-جيمس هنري برستيد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
٥-ر.ف.بودلي: الرسول، حياة محمد، ترجمة: محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر ١٩٨٩م.
٦-جورج فلهلم هيجل: العالم الشرقي، ترجمة: د: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، د.ت.
٧-هيجل: العقل في التاريخ، ظاهريات الروح، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير.د.ت)
٨-كريس هوروكس: أقدم لك: فوكو، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.
٩- فريدريش فيختل: الماسونية العالمية، ترجمة: عثمان محمد عثمان، المركز القومي للترجمة ٢٠١٠.
١٠-مارك كورتيس: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ترجمة: كمال السيد، المجلس القومي للترجمة، ٢٠١٢م.
١١-مايكل كوربباليس: في نشاة اللغة (من إشارة اليد إلى نطق الفم) ترجمة: محمود ماجد عمر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٣٢٥، ٢٠٠٦م.
١٢-مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد، ترجمة: أنيس منصور، الزهراء للإعلام العربي، ط٦، ١٩٨٥.
١٣-ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.
١٤-ول ديورانت:قصة الحضارة، ترجمة: د. وكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
١٥-و . مونتجمري وات: محمد في مكة، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى ،مراجعة د. أحمد شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني، ٢٠٠٢م.
١٦-ولتر ستيس: التصوف والفلسفة، ترجمة :د. إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢م.
١٧-ولتر ستيس: الدين والعقل الحديث ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير.د.ت.
١٨-هربرت بوسه: أسس الحوار في القرآن الكريم، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية،

ترجمة: أحمد محمود هويدي، المركز القومي للترجمة، ط٢ ، ٢٠٠٩م
١٩- www.shahrour.org